

ملخص بانوراما الرجعة العظيمة - الحلقة 2 / عبد الحليم الغزي
المنزلة المعرفية لعقيدة الرجعة في دين العترة الطاهرة ج2
الاثنين : 2/ شهر رمضان/1446هـ - الموافق 3/3/2025م

"المنزلة المعرفية لعقيدة الرجعة في دين العترة الطاهرة": هذا هو عنواننا للحلقة الماضية ولهذه الحلقة التي تكون جزءاً ثانياً ومكملاً لما تقدم ذكره في حلقة يوم أمس..

عندنا معطيات ليست قليلة ترتبط بموضوع الرجعة، لكنها لا تكشف لنا الحقيقة الكاملة، ولذا فإننا بحسب المعطيات المتوفرة لدينا والتي نستطيع أن نتواصل معها تدرجاً تفكيراً تفهماً، سيكون الحديث في هذا البرنامج في هذه البانوراما وفقاً لما بينته بخصوص المعطيات المتوفرة..

إذا ما ألقيت نظرة على المعطيات المتوفرة لدينا من خلال فهمنا لما تحدثت به الشران عن الرجعة العظيمة، وما تحدثت به كلمات العترة الطاهرة، إذا ما يمينا ووجهنا أنظارنا إلى هذين المصدرين الشريفين، من هنا نأخذ ديننا، ومن هنا نأخذ علمنا، ومن هنا نأخذ ثقافتنا، من قرآنهم المفسر بحسب منهج تفسيرهم ومن حديثهم المفهم بحسب منهج تفهيمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين..

هناك حيثيات ولحظات إذا ما نظرنا من خلالها فإن جوانب من معنى الرجعة العظيمة تتجلى أمام أعيننا، ساشير إليها إجمالاً لأن التفاصيل ستأتينا تباعاً..
اللاحظ الأول: أو قولوا الحثية الأولى التي توجه أنظارنا إليها كي نستشرف جانباً من جوانب معنى الرجعة العظيمة، وإنني أصر على العظيمة تمييزاً لها عن الرجعة العجيبة التي هي الرجعة الصغرى وهي من شؤون يوم الظهور..

الحيثية الأولى التي ننظر إليها كي نشخص جانباً من جوانب معنى الرجعة؛ إننا ننظر إلى الرجعة من خلال السنن الكونية، الرجعة ما هي بمعجزة من المعاجز بحسب مصطلحاتنا في علم الكلام في الفلسفة فقولوا ما تشاءون، الرجعة حالة كونية، فإذا أردنا أن نعرف جانباً من معناها ومضمونها بحسب ما نستطيع أن نصل إليه في زمان الغيبة الذي نعيش فيه وهو اجنبي وغريب وبعيد عن زمان الرجعة العظيمة.

هنا أمران:

الأمر الأول: لا بد أن نشخص معنى هذه الكلمة؛ (الرجعة)، الرجعة رجوع، والرجوع له معنيان؛

- أن يرجع الراجع مثلما ذهب، ذهب الداهب ثم رجع إلينا، فمثلما ذهب رجوع، الرجعة ليست كذلك.

- الرجعة بالدقة: قدوم ثان، وليس رجوعاً، لأن الداهب إذا ذهب ورجع رجوعاً ما هو رجوع فإنه قد رجع إلينا كما ذهب، ولكن في بعض الأحيان يكون الرجوع قدوماً ثانياً مثلما قدم لنا أول مرة، فقد ذهب صغيراً ورجع كبيراً، ذهب فقيراً ورجع غنياً، ذهب جاهلاً ورجع عالماً، ذهب رعيةً ورجع راعياً، فهذا ما هو برجوع بسيط، هذا الرجوع هو قدوم ثان، فحينما نتحدث عن الرجعة العظيمة إنها تكون بهذا المعنى..

فالرجعة ما هي برجوع عادي بسيط، الرجعة قدوم ثان متميز.

الأمر الثاني: الرجعة بحسب السنن الكونية ولادة كونية، ليست للإنسان إنها ولادة كونية للكون كله، والإنسان جزء من الكون فيكون مشمولاً بقانون الولادة الكونية هذه، الرجعة ما هي بموضوع يخص مجموعة من الشعة، الرجعة ولادة كونية عظيمة..

أقرب لكم الفكرة بمثال وأفضل الأمثلة ما يرتبط بالإنسان، الإنسان له ولادات عديدة؛

الولادة الأولى للإنسان: حينما ولد من عدم فصار شيئاً، ولكن ليس مذكوراً، ولايد أن نعرف من أن الشئية كما يقول الفلاسفة في الفلسفة القديمة وفي الفلسفة الحديثة؛ "من أن الشئية تساو في الوجود"، فحينما نصف أمراً بأنه شيء هذا يعني أنه قد تحقق على صفحة الوجود، فكل شيء هو موجود، الشئية والوجود معنى واحد بالنسبة لنا..

في سورة مريم، الآية السابعة والستين بعد البسملة: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكَمْ يَكُ شَيْئًا﴾، لم يك موجوداً، هذه الآيات تمثل سياقاً بلاغياً

من أجمل ما يمكن أن يكون، في الآية السادسة والستين بعد البسملة من سورة مريم وما بعدها: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكَمْ يَكُ شَيْئًا - كُلُّ إِنْسَانٍ يَتَذَكَّرُ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا، إِنَّا نَعْرِفُ مَعْرَفَةً قَطْعِيَّةً مِنْ أَنَّا لَمْ نَكُنْ مَوْجُودِينَ قَبْلَ مَقْطَعِ زَمَانِي تَحَقَّقَ فِيهِ وَجُودُنَا - قَوْلِكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ مِنْهُمْ أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۖ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ لَنُنَجِّيَ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً ۖ..

فالأولادة الأولى للإنسان؛ أنه ولد من عدم، قطعاً هذا التعبير تقريبي فإن العدم لا شيء، فلا يولد منه شيء، لكن البيان هنا في مستوى المقاربة في التعبير..

في سورة الدهر، الآية الأولى بعد البسملة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾، الإنسان كان عدماً، ثم صار شيئاً لكن ليس مذكوراً، وبعد ذلك صار شيئاً مذكوراً إنها ولادة ثانية..

الولادة الثانية: أن ولد من الحالة المتقدمة حينما كان شيئاً ليس مذكوراً قولاً و صار شيئاً مذكوراً في عالم التقدير والتكوين.

وولادات وولادات حتى جاءت ولادة كان الإنسان فيها ذراً في عالم الذر.

وولادات ما بين عالم الذر إلى أن استقر في رحم أمه وجاءت ولادته من رحم أمه نازلاً إلى الدنيا.

وولادة له؛ حينما خرج من رحم الدنيا موته و صار إلى عالم البرزخ.

وولادة أخرى؛ حينما انطبق عليه قانون الرجعة فسيولد من عالم البرزخ ولادة كونية جديدة، سيولد راجعاً مكروراً، ولادات متواصله وهذا مثال مقتضب.

في (الكافي الشريف)، الجزء الأول، طبعة دار الأسوة/ طهران - إيران/ الصفحة السابعة والستين بعد المائة/ الحديث الخامس: بسنده - بسند الكليني المتوفى

سنة (328) للهجرة، من رجال الغيبة الأولى - بسنده، عن مالك الجهني، قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله تعالى: "أولم ير الإنسان أنَّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً" فقال

وقال الصادق صلوات الله عليه: عن قول الله تعالى: "أولم ير الإنسان أنَّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً"، قال: فقال

- فقال الصادق صلوات الله عليه - لا مقدراً ولا مكوّناً - لأن التقدير يسبق التكوين، التقدير هندسة، والتكوين بناء - قال: وسألته عن قوله: "هل أتى على

الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً"، فقال: كان مقدراً غير مذكور - هذه الولادة الأولى، ولد من العدم فصار شيئاً لكنه ليس مذكوراً..

في (محاسن البرقي)، من كتبنا القديمة، وأحمد بن محمد البرقي متوفى سنة (274) للهجرة، طبعة مؤسسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصفحة الثانية والستين

بعد المائة، الباب الخامس والعشرون، الحديث الرابع: بسنده - بسند البرقي - عن زرارة، عن حمران - وحمران أخو زرارة - قال: سألت أبا جعفر الباقر

صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا"، فَقَالَ: كَانَ شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا، قُلْتُ: فَقَوْلُهُ: "أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا، قَالَ: لَمْ يَكُنْ شَيْئًا فِي كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ.

أَعْتَقَدُ أَنَّ الصُّورَةَ بَاتَتْ وَاضِحَةً عَنِ الَّذِي أَقْصَدُهُ وَعَنِ الَّذِي أُحَدِّثُ عَنْهُ مِنْ أَنَّ الْإِنْسَانَ وُلِدَ وَيُؤَلَّدُ وَتَتَعَدَّدُ وِلَادَاتُهُ الْكُونِيَّةُ..

فِي (دُعَاءِ الْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ)، وَهُوَ دُعَاءُ مَرْوِيِّ عَنِ إِمَامِنَا السَّجَادِ عَنِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ الْأَطْيَبِينَ الْأَطْهَرِينَ، يَشْتَمَلُ عَلَى مِثَّةٍ مَّقْطَعٍ، فِي الْمَقْطَعِ الثَّمَانِينَ، نَقَرْنَا مِنْ كَلِمَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا ذَا الْجُودِ وَالنَّعَمِ، يَا ذَا الْفَضْلِ وَالكَرَمِ، يَا خَالِقَ الْوَجْهِ وَالْقَلَمِ - يَسْتَمِرُّ الدُّعَاءُ الشَّرِيفُ إِلَى أَنْ نَقُولَ فِي نِهَائِهِ الْمَقْطَعُ: يَا مَنْ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْعَدَمِ - الْأَشْيَاءُ هِيَ الْمَوْجُودَاتُ، الدُّعَاءُ هُنَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْوِلَادَاتِ الْكُونِيَّةِ الْجَزْئِيَّةِ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنَ الْكُونِ، وَعَنِ الْوِلَادَاتِ الْكُونِيَّةِ الشَّامِلَةِ، فَالْكَوْنُ وُلِدَ مِنَ الْعَدَمِ، أَرَادَهَا أَنْ تَكُونَ فَكَانَتْ، لَا يُوْجَدُ شَيْءٌ اسْمُهُ الْعَدَمُ، الْكَوْنُ وُلِدَ مِنَ الْعَدَمِ، وَلَكِنَّهُ فِي حَالَةٍ تَوَالَّدَ.

فِي سُورَةِ الذَّارِيَاتِ، الْآيَةُ السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا يَأْتِدُ وَإِنَّا لَمُبْسُوعُونَ﴾، عَمَلِيَّةُ التَّوَسُّعِ وَالتَّاسُّعِ مُسْتَمْرَّةٌ، هَذِهِ آثَارُ التَّوَلَّدِ الْكُونِيَّةِ، "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا يَأْتِدُ"؛ وَحِينَمَا بَنِيَتْ بِأَيْدٍ بَنِيَتْ كَامِلَةً، لَكِنَّ الْوِلَادَاتِ الْكُونِيَّةِ مُسْتَمْرَّةٌ فَلَابَدٌ مِنَ التَّوَسُّعِ، لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَّصِرَ تَوَقُّفَ الْفَيْضِ فَهَذَا يَتَعَارَضُ مَعَ التَّوْحِيدِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا حُدُودَ لَهُ..

يَبْقَى التَّوَسُّعُ قَائِمًا فِي الْجَنَانِ وَفِي النَّيْرَانِ أَيْضًا، لِأَنَّ الْفَيْضَ لَا يَتَوَقَّفُ، كَيْفَ تَتَّصِرُ أَنْ جُودَ اللَّهُ يَقِفُ عِنْدَ حُدُودٍ، فَجُودُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا تَحْدَهُ الْحُدُودُ، قَدْ يَكُونُ هُنَاكَ ائْتِدَارٌ ظَاهِرِيٌّ لِبَعْضِ أَجْزَاءِ الْكُونِ، هَذَا الِائْتِدَارُ ائْتِدَارٌ ظَاهِرِيٌّ إِنَّهَا عَمَلِيَّةٌ ائْتِدَارِيَّةٌ، الْكَوْنُ مَا بَيْنَ فِعْلِ وَانْفِعَالِ، فَعَمَلِيَّةُ الِائْتِدَارِ هَذِهِ مَا هِيَ بِعَمَلِيَّةٍ عَدَمٍ..

فِي سُورَةِ التَّكْوِينِ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سَوَّتَتْ ﴿٣﴾، إِلَى آخِرِ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ التَّكْوِينِ، أَوْ مَا ذُكِرَ فِي سَائِرِ السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ وَهِيَ تَخْبِرُنَا عَنِ التَّغْيِيرَاتِ الْكُونِيَّةِ الْهَائِلَةِ فِي مَرِحَلَةِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، لِأَنَّ نَعْرِفَ:

- هُنَاكَ الرَّجْعَةُ الْعَظِيمَةُ.
- وَبَعْدَ الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ تَأْتِي الْقِيَامَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ.
- وَبَعْدَ الْقِيَامَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ تَأْتِي مَرِحَلَةُ دَابَّةِ الْأَرْضِ.
- وَبَعْدَ مَرِحَلَةِ دَابَّةِ الْأَرْضِ تَأْتِي مَرِحَلَةُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ.
- وَبَعْدَ مَرِحَلَةِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ تَبْدَأُ الْقِيَامَةُ الْكَبْرَى وَالَّتِي تَنْطَوِي صَفْحَتَهَا بَعْدَ ذَلِكَ حَيْثُ نَصَلُ إِلَى مَرِحَلَةِ الْعَاقِبَةِ.

هَذِهِ الْمَضَامِينُ تَحَدَّثُ عَنْهَا الْقُرْآنُ وَتَحَدَّثُ عَنْهَا الْمُعْصَمُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ..
الْقُرْآنُ يَحَدِّثُنَا فِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ بَعْدَ الْمِثَّةِ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكَتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ - إِنَّهَا وِلَادَةٌ كُونِيَّةٌ - وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ - تَسْتَمِرُّ الْآيَاتُ: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، هَذِهِ الْآيَةُ وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِهَا فِي ظُهُورِ إِمَامِ زَمَانِنَا، وَلَكِنَّ التَّأْوِيلَ الْأَعْظَمَ لِلآيَةِ فِي الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ، هَذَا الْمَعْنَى لَا يَصْدُقُ بِالدرَجَةِ الْأَعْظَمِ إِلَّا فِي مَرِحَلَةِ الرَّجْعَةِ، إِنَّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ الصَّالِحُونَ عِبْرَ التَّارِيخِ مِنْذُ زَمَانِ أَبِيْنَا أَدَمَ إِلَى يَوْمِ الظُّهُورِ وَمَا بَعْدَ الظُّهُورِ..

-إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، هَذَا الْمَعْنَى عَلَى الْمُسْتَوَى الْبَشَرِيِّ وَغَيْرِ الْبَشَرِيِّ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا فِي زَمَانِ الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، إِذَا كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَعَنِ الرَّحْمَةِ الْمَحْسُوسَةِ وَعَنِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَمَا يَمَثَلُهَا مِنْ حَيَاتٍ فِي الْمَجْرَاتِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُضْطَرَّدَةِ الْوَاسِعَةِ، هَذِهِ الْآيَاتُ مَجْمُوعَةٌ تَخْبِرُنَا عَنِ الرَّجْعَةِ، وَتَخْبِرُنَا عَنِ الْوِلَادَاتِ الْكُونِيَّةِ، وَتَخْبِرُنَا وَنُخْبِرُنَا..
إِذَا الرَّجْعَةُ بِحَسَبِ السَّنَنِ الْكُونِيَّةِ: الرَّجْعَةُ قُدُومٌ ثَانٍ، قُدُومٌ مُتَجَدِّدٌ، قُدُومٌ مُتَرَقٌّ، الرَّجْعَةُ وِلَادَةٌ كُونِيَّةٌ لِلْكَوْنِ كُلِّهِ وَليْسَ الْأَمْرُ مُتَعَلِّقًا بِالْإِنْسَانِ فَقَطْ..
هَذَا اللَّحَاطُ الْأَوَّلُ: فَإِنَّ الرَّجْعَةَ وَوِلَادَةَ كُونِيَّةً، وَسَيَتَضَحُّ هَذَا لَكُمْ عِبْرَ التَّفَاصِيلِ الْقَادِمَةِ..

اللَّحَاطُ الثَّانِي الَّذِي نَأْخُذُهُ بِنَظَرِ الْعَتَبَارِ كِي نُدْرِكُ بَعْضَ جَوَانِبِ مَعْنَى الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ؛ الرَّجْعَةُ بِحَسَبِ حَرَكَةِ الْإِنْسَانِ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
الْإِنْسَانُ يَتَحَرَّكُ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛

- جَانِبٌ مِنْ حَرَكَتِهِ رَاجِعٌ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ.
- وَجَانِبٌ مِنْ حَرَكَتِهِ مَفْرُوضٌ عَلَيْهِ.
هَكَذَا هُوَ الْكَوْنُ، وَهَكَذَا هِيَ الْمَخْلُوقَاتُ، وَهَكَذَا أَرَادَ اللَّهُ، وَكَمَا يَقُولُ إِمَامُنَا الصَّادِقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: (أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَجْرِيَ الْأُمُورُ بِأَسْبَابِهَا)..
الْمَعْطِيَاتُ الَّتِي تَقَعُ تَحْتَ هَذَا الْعِنْوَانِ:

أَنَّ حَقِيقَةَ النُّبُوتِ عِبْرَ التَّارِيخِ أَنَّ حَقِيقَتَهَا وَأَثَارَهَا وَثَمَارَهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ كَمَا يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا فِي مَرِحَلَةِ الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ، هَذَا هُوَ الَّذِي نَعْتَقِدُهُ فِي تَفَاصِيلِ دِينِنَا بِحَسَبِ آيَاتِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ وَأَحَادِيثِ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اتَّخَذَ الْعَهْدَ وَالْمَوَاطِنَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَنْصُرُوا مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَهَذَا الْمِيثَاقُ أُخِذَ عَلَى الْجَمِيعِ وَأُخِذَ الْمِيثَاقُ بِصُورَةٍ أَنْ تَكُونَ النُّصْرَةُ عَمَلِيَّةً، فَمَتَى تَحَقَّقَ هَذَا؟!
بَعَثَهُ نَبِيْنَا، نُبُوَّةُ نَبِيْنَا، رِسَالَةُ نَبِيْنَا، دِينُ نَبِيْنَا، هَذَا التَّكْوِينُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْإِسْلَامُ، هَذَا التَّكْوِينُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْإِيمَانُ، التَّكْوِينُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْعَقِيدَةُ، التَّكْوِينُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْوِلَايَةُ، التَّكْوِينُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْإِمَامَةُ، هَذِهِ الْمَضَامِينُ مَتَى تَحَقَّقَتْ كَمَا يُرِيدُهَا اللَّهُ؟ لَمْ تَحَقَّقْ فِي آيَةٍ مَرِحَلَةٍ مِنَ الْمَرَاكِحِ.
نُبُوَّةُ نَبِيْنَا الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَلْ هَذَا مَنْطِقِيٌّ أَنْ نُبُوَّتُهُ تَوَوَّلَ إِلَى أَنَّ الْأُمَّةَ تَقُومُ بِقِتْلِهِ؟ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ مَعَ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ تَعَاوَنُوا عَلَى قِتْلِهِ وَسَمَّمُوهُ وَانْقَلَبَتِ الْأُمَّةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، هَلْ هَذِهِ عَاقِبَةُ بَعَثَةِ النَّبِيِّ وَعَاقِبَةُ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ؟! إِذَا مَتَى يَتَحَقَّقُ دِينُ اللَّهِ؟
فَبَعَثَهُ النَّبِيُّ الَّتِي كَانَتْ فِي مَكَّةَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ هَذِهِ مَقْدَمَةُ الْبَعَثَةِ الْحَقِيقِيَّةِ فِي آخِرِ عَصْرِ الرَّجْعَةِ..
اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ نَبِيَّهُ بَدِينَهُ كِي يَكُونَ هَذَا الدِّينُ ظَاهِرًا عَلَى كُلِّ دِينٍ بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ، أَنْ تَتَكَشَّفَ حَقَائِقُ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْجَمِيعِ، لَا يَتَحَقَّقُ هَذَا إِلَّا فِي عَصْرِ الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ.

بِيعَةُ الْغَدِيرِ؛ بِيعَةُ الْغَدِيرِ مَا هِيَ ثَمَرَتُهَا؟ الْقُرْآنُ حِينَمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ بَيْعَةِ الْغَدِيرِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ فِي الْآيَةِ السَّابِعَةِ وَالسِّتِينَ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، النَّبِيُّ أَقَامَ الْبَيْعَةَ، وَلَكِنْ أَيْنَ ثَمَرَتُهَا؟ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِينَمَا يَخَاطَبُ رَسُولُهُ بِهَذَا الْخَطَابِ فَهَلْ يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْبَيْعَةُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ الصُّورِيَّةِ وَالَّتِي لَيْسَ لَهَا مِنْ تَطْبِيقِ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّكَ إِنْ لَمْ

تُبَلِّغُ مَا بَلَغْتَ الرَّسَالَةَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، الَّذِينَ كَفَرُوا بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ، إِنَّهُ يُرِيدُ تَحْقِيقَهَا، مَتَى تَحَقَّقْتَ؟ لَنْ تَحَقَّقَ بَيْعَهُ الْغَدِيرَ إِلَّا فِي مَرِحَلَةِ الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ.

عَاشُورَاءُ؛ عَاشُورَاءُ وَمَاذَا جَرَى فِي عَاشُورَاءَ، ثَمَرَةُ دِمَاءِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَيْنَ هِيَ؟ أَيْنَ ثَمَرَةُ دِمَاءِ الْحُسَيْنِ؟ ثَمَرَةُ دِمَاءِ الْحُسَيْنِ تَحَقَّقُ فِي عَصْرِ الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ..

حِينَمَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ"، هَلْ هُوَ إِكْمَالٌ بِالنُّصُوصِ أَوْ هُوَ إِكْمَالٌ بِبَيْعَةِ لَمْ تَحَقَّقْ؟! أَيِ إِكْمَالٍ يَتَحَدَّثُ الْقُرْآنُ عَنْهُ؟ هَذَا الْإِكْمَالُ لَيْسَ لَهُ مِنْ تَحْقِيقِ عَمَلِي عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ إِلَّا فِي مَرِحَلَةِ الرَّجْعَةِ..

فَإِنَّ الظُّهُورَ مُقَدِّمَةٌ لِلرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ، وَإِمَامُ زَمَانًا سَيَعُودُ رَاجِعًا فِي عَصْرِ سَيَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ عَصْرِ الظُّهُورِ، هَذَا هُوَ مَنْطِقُ الْإِيمَانِ..

- إِذَا الرَّجْعَةُ وَوَلَادَةُ كَوْنِيَّةٌ.

- وَهَذِهِ الْوِلَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ تُمَثَّلُ تَطْبِيقًا عَمَلِيًّا شَامِلًا وَاسِعًا مُتَّسِعًا لِلْبِرْنَامِجِ الْإِلَهِيِّ فِي خِلَافَةِ اللَّهِ عَلَى هَذَا الْكُونِ.

- خَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى هَذَا الْكُونِ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ..

اللِّحَاطُ الثَّلَاثُ: مَعْنَى الرَّجْعَةِ بِحَسَبِ مَرْكَزِيَّتِهَا وَمُحَوَّرِيَّتِهَا فِي دِينِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ.

أَشِيرُ إِلَى ثَلَاثِ نِقَاطٍ:

النَّقْطَةُ الْأُولَى: عَقِيدَةُ الْمَعَادِ الَّتِي هِيَ عَقِيدَةٌ أُسَاسِيَّةٌ فِي بُنْيَةِ دِينِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ، رُؤْيُنَا لِلْوُجُودِ تَتَشَكَّلُ وَفَقًا لِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ، وَلِذَا فَإِنَّهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَقُولُونَ: (رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ)، "إِلَى أَيْنَ": إِنَّهُ الْمَعَادُ.

الْمَعَادُ فِي دِينِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ يَبْتَنِي عَلَى سَنَةِ وَقَانُونَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ، هَذِهِ الْعَقِيدَةُ الضَّالَّةُ عِنْدَ الشَّيْعَةِ وَالسُّنَّةِ؛ "مَنْ أَنَّ الْمَعَادَ يَبْتَنِي عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى"، هَذِهِ عَمَلِيَّةٌ عَدَاءٌ لِلْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ، لِأَنَّهَا إِذَا أَثْبَتْنَا الرَّجْعَةَ الْعَظِيمَةَ ثَبَّتَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَبَانَ ضَلَالُ الْآخَرِينَ، وَلِذَا فَإِنَّ نَوَاصِبَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ حَارِبُوا الرَّجْعَةَ حَرْبًا لَا مِثِيلَ لَهَا، هَذَا هُوَ السَّبَبُ، لِأَنَّهَا إِذَا أَثْبَتْنَا الرَّجْعَةَ وَعَاتَقَدَ الْمُسْلِمُونَ بِالرَّجْعَةِ مِثْلَمَا يُرِيدُ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ ثَبَّتَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَانْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ، وَهَنَّاكَ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ عَلَى عَقِيدَةِ الرَّجْعَةِ عِبْرَ التَّارِيخِ وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَلَى جَمِيعِ الْمَسْتَوِيَّاتِ، الْحَكَايَةُ عَمِيقَةٌ جَدًّا، هَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ شَنَّ نَوَاصِبَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ الْحَرْبَ الشَّدِيدَةَ عَلَى كُلِّ مَنْ رَوَى حَدِيثًا فِي الرَّجْعَةِ..

الْقُرْآنُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ حِينَمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَعَادِ فَإِنَّهُ يَتَحَدَّثُ؛

- تَارَةً عَنْ يَوْمِ الظُّهُورِ.

- وَتَارَةً عَنْ يَوْمِ الرَّجْعَةِ.

- وَتَارَةً عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى.

لِأَنَّ الْأَيَّامَ هَذِهِ يَعُودُ فِيهَا الْإِنْسَانُ إِلَى اللَّهِ، الْمُرَادُ مِنَ الْمَعَادِ عَوْدَتُنَا إِلَى اللَّهِ، كَيْفَ نَعُودُ إِلَى اللَّهِ؟ حِينَمَا نَعُودُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ، حِينَمَا نَعُودُ إِلَى بَرْنَامِجِهِ، حِينَمَا نَعُودُ إِلَى دِينِهِ، هَذَا هُوَ الْمَعَادُ إِلَى اللَّهِ..

وَمَا ذُكِرَ مِنْ أَحْدَاثٍ كَوْنِيَّةٍ وَتَغْيِيرَاتٍ طَبِيعِيَّةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ؛

- الْبَعْضُ مِنْهَا يَرْتَبِطُ بِقِيَامَةِ الظُّهُورِ.

- وَالْبَعْضُ مِنْهَا يَرْتَبِطُ بِقِيَامَةِ الرَّجْعَةِ.

- وَالْبَعْضُ مِنْهَا يَرْتَبِطُ بِالْقِيَامَةِ الْكُبْرَى.

فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ، الْآيَةُ الْخَامِسَةَ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ - وَمَاذَا بَعْدُ؟ - وَدَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، إِذَا مَا تَوَجَّهْنَا إِلَى الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ وَقَلْنَا لِأَمَّتِنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مَا هِيَ أَيَّامُ اللَّهِ؟ يَقُولُونَ إِنَّهَا أَيَّامُنَا، أَيَّامُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ؛ "يَوْمَ الْقَائِمِ، يَوْمَ الرَّجْعَةِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى"، هَذِهِ هِيَ أَيَّامُ اللَّهِ الَّتِي تَأْتِي فِي سِيَاقِ الْخُرُوجِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

- إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، "الصَّبَارُ الشُّكُورُ"؛ هُوَ هَذَا الَّذِي مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحَضًا، وَمَنْ هُمْ أَوْلَثُكَ الَّذِينَ وَصَفُوا بِأَنَّهُمْ قَدْ مَحَضُوا الْإِيمَانَ وَهُمْ الَّذِينَ سَيَعُودُونَ فِي الرَّجْعَةِ، هَؤُلَاءِ هُمُ الرَّاجِعُونَ وَهُمْ الْمَكْرُورُونَ.

فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ، الْآيَةُ الرَّابِعَةُ بَعْدَ الْعَاشِرَةِ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، عُدُّوا إِلَى تَفَاسِيرِ السَّقِيفَتَيْنِ اللَّعِينَتَيْنِ يَتَخَبَطُونَ مِيمَانًا وَشِمَالًا، الْآيَةُ وَاضِحَةٌ إِنَّهَا تَتَحَدَّثُ عَنْ أَمْرِ عَظِيمٍ..

فِي (تَفْسِيرِ الْقُمِّيِّ)، جَامِعٌ مِنْ جَوَامِعِ أَحَادِيثِنَا التَّفْسِيرِيَّةِ، طَبَعَهُ مَوْسَسَةُ الْأَعْلَمِيِّ/بَيْرُوتَ - لِبَنَانٍ/ إِنَّهَا أَحَادِيثُ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ، صَفْحَةٌ (634): بَسَنَدِهِ - يَسْنَدُ الْقُمِّيِّ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - عَنْ دَاوُودَ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ"، قَالَ: قُلْ لِلَّذِينَ مَنَّا عَلَيْهِمْ مَعْرِفَتُنَا أَنْ يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، فَإِذَا عَرَفُوهُمْ فَقَدْ عَفَرُوا لَهُمْ - لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ هُمْ لَا يَرْجُونَهَا لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ بِهَا..

التَّفَتُّوا إِلَى هَذِهِ النُّقْطَةِ الْمَهْمَةِ: مِنْ أَنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ بِعَقِيدَةِ الرَّجْعَةِ عِنْدَهُمْ مَقْدَرَةٌ أَنْ يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ، أَيُّهُ مَنْزِلَةٌ هَذِهِ لِعَقِيدَةِ الرَّجْعَةِ؟ الَّذِي يَكُونُ مَلَمًّا بِفَقْهِيَّهَا يَكُونُ غَافِرًا..

لَا زِلْتُ أُحَدِّثُكُمْ فِي مَضْمُونِ مَعْنَى الرَّجْعَةِ بِحَسَبِ مَرْكَزِيَّتِهَا الْعَقَائِدِيَّةِ وَمُحَوَّرِيَّتِهَا الْفِكْرِيَّةِ فِي دِينِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ، إِذَا عَقِيدَةُ الْمَعَادِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَحَقَّقَ مِنْ دُونِ أَنْ نَفْقَهُ عَقِيدَةَ الرَّجْعَةِ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا أَنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْهَمَ الْقُرْآنَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، هَذِهِ النُّقْطَةُ الْأُولَى.

النُّقْطَةُ الثَّانِيَّةُ: لِأَيْدٍ أَنْ نَعْرِفَ مِنْ أَنَّ الرَّجْعَةَ حُسَيْنِيَّةَ الْجَوْهَرِ، وَأَقُولُ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ نَحْنُ خُدَامُ الْحُسَيْنِ؛ أَنْتُمْ لَسْتُمْ خُدَامًا لِلْحُسَيْنِ لِأَنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ فِقْهَ عَقِيدَةِ الرَّجْعَةِ، الرَّجْعَةُ حُسَيْنِيَّةٌ فِي تَكْوِينِهَا وَفِي جَوْهَرِهَا.

فِي الدُّعَاءِ الْمَرْوِيِّ عَنِ إِمَامِنَا الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ وَالَّذِي يُقْرَأُ فِي مَوْلِدِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ شَعْبَانَ، فِي (مِفْتَاحِ الْجَنَانِ): (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الْمَوْلُودِ فِي هَذَا الْيَوْمِ)، إِنَّهُ يَوْمٌ وَوَلَادَةُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، يَوْمٌ وَوَلَادَةُ الْحُسَيْنِ، إِلَى أَنْ تَقُولَ كَلِمَاتِ الدُّعَاءِ: فَتَيْلُ الْعَبْرَةِ - إِنَّهُ الْحُسَيْنِ هُوَ هُوَ قَتِيلُ الْعَبْرَاتِ - وَسَيِّدِ الْأُسْرَةِ الْمَمْدُودِ بِالنُّصْرَةِ يَوْمَ الْكِرَّةِ - إِنَّهَا الرَّجْعَةُ، إِنَّهَا الْكِرَّةُ، إِنَّهَا الْأُوبَةُ..

دَقَّقُوا النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ: "الْمَعْوِضُ مِنْ قَتْلِهِ"، مَا هُوَ عَوْضُ قَتْلِ الْحُسَيْنِ؟ هَذَا عَوْضٌ عَنْ قَتْلِهِ وَليْسَ عَنْ دَمِهِ، دَمُ الْحُسَيْنِ لَا عَوْضَ لَهُ، وَإِنَّمَا هَذَا الْعَوْضُ عَنْ حَدَثِ الْقَتْلِ، دَمُ الْحُسَيْنِ هُوَ دَمُ اللَّهِ، وَلِهَذَا نُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي زيارَتِهِ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَارَ اللَّهِ وَابْنَ تَارِهِ - كَلِمَةُ التَّارِ تَعْنِي الدَّمَ - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دَمَ اللَّهِ)، فَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ عَوْضٍ لِدَمِ اللَّهِ، لَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِعَمَلِيَةِ الْقَتْلِ لِحَادِثَ الْقَتْلِ جَعَلَ لَهَا عَوْضًا.

"الْمَعْوِضُ مِنْ قَتْلِهِ أَنَّ الْأُمَّةَ مِنْ نَسَلِهِ وَالشُّقَاءَ فِي تَرْبَتِهِ وَالْفَوْزَ مَعَهُ فِي أَوْبَتِهِ"؛ فَهَذِهِ الرَّجْعَةُ حَسِينِيَّةٌ إِنَّهَا عَوْضٌ عَنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ، فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ تَقُولُونَ مِنْ أَنَا خُدَامٌ لِلْحُسَيْنِ مَاذَا تَفْقَهُونَ مِنَ الرَّجْعَةِ وَمَاذَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْحُسَيْنِ؟ فَالرَّجْعَةُ كَمَ هِيَ عَظِيمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ إِذْ جَعَلَهَا عَوْضًا لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ؟ وَكَمَ هِيَ عَظِيمَةٌ عِنْدَ مُحَمَّدٍ وَأَلِ مُحَمَّدٍ جِنْمَا يَقُولُونَ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَوْمِنْ بِرَجْعَتِنَا)؟ وَكَمَ هِيَ سَخِيفَةٌ عِنْدَ مَرَاجِعِ النَّجْفِ وَكَرْبَلَاءَ؟ وَكَمَ هِيَ سَخِيفَةٌ عِنْدَكُمْ يَا خُدَامَ الْحُسَيْنِ الْجُهَلَاءَ السَّفَهَاءَ؟